مجلة رفوف ISSN: 2335-1381
المجلد: السابع /العدد: الأول مارس 2019

الرسائـل الشعريـة عند عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م)- دراسة في البنية والسمات الأسلوبية -

سعيدة بوزنينة / السنة الرابعة دكتوراه بجامعة أحمد دراية أدرار
- البريد الإلكتروني: bouzsaida0826@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/05/13	تاريخ القبول: 2019/01/22	تاريخ النشر: 2019/03/28

الملخص : يعتبر عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) من أعلام منطقة تينجورارين المغمورين وأحد قضاة العائلة الجوزية بأولاد سعيد ، نبغ في مجالات علمية مختلفة : اللغة والأدب والفقه والقضاء في أواخر القرن 10هـ وبداية القرن 11. وصفه أقرانه بالمحقق والمدقق في العلوم الفقهية واللغوية ، له مناظرات علمية ومساجلات شعرية اتسمت بسمات أسلوبية ولغوية وتصويرية دلّت على حداقة وبراعته في زمن وُصف أدبه بالضعف والانحطاط .

الكلمات المفتاحية: الرسائل الشعرية ; آل الجوزي ; عبد الحكم.

Astract : Abdelhakam ben abdel karim El-Gurari (1612-AD – 1021 HE) is considered as one of the hidden scholars of Gurara. He was a judge of El Jouzi family in Ulad saeed. He had a genius in various fields such as literature, language , justice and jurisprudence at the end of 10th century and the beginning of the 11 th century Hegira. He was seen by his mates as an editor and examiner in jurisprudence sciences and in language . He participated at many scientific and poetic debates characterized by stylistic, linguistic and metamorphotic features indicating his skillfulness and ingenuity in a period of degradation and weakness

مقدمـــة

يعد عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) من أعلام العائلة الجوزية المعروفة منذ الأزل بأولاد القاضي نسبة إلى مهنة القضاء التي توارثوها أبٍ عن جد، فهو علم من أعلام القرن العاشر والحادي عشر هجري ، ترك بصمات علمية أدبية واضحة أثبتت نبوغه ونباهته في المجال الشعري، له مقطوعات نظمية ذخرت بها معظم المخطوطات والمؤلفات المغربية التي وجدت بالإقليم الجوراري والتواتي ، إلى أن وصلت إلى الأقاليم المجاورة (المغرب الأقصى، مصر)، في عصر شاع عنه ووُسِم بالضعف والانحطاط إلا أنه أثبت عكس ذلك. وللتعرف على هذه الإيقونة الأدبية الجورارية (الجوزية)، والوقوف على مدى تجربته الشعرية، وأهم ما يميز إبداعه الأدبي، وذلك بالتطرق إلى العناصر التالية :

اسمه ونسبه: هو أبو محمد عبد الحكم بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد المسعود المريني[1] الوساطي النسب[2] المسعودي[3] الجراري [القوراري] الدار[1]، من سلالة حكمت بلاد المغرب من القرن 13عشر إلى الخامس عشر ميلادي.

---

[1] نسبة للولاء ، كما أشار صاحب كتاب الذخيرة السنية ، ونقلاً كذلك عن ابن خلدون أن « بني مرين فخِذٌ من زناتة ، وهم ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن بدر... ». الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، اعتنى بنشره ، محمد بن أبي شنب ، جول كربونال ساحة الدولة ، الجزائر ، (1339هـ-1960م) ، ص09-10.

[2] نسبة إلى بني وطاس الذين حكموا المغرب بعد سقوط الدولة المرينية ، وهم أبناء عمومتهم وأسلاف الوطاسيين فرع من بني مرين ، ولكنهم ليسوا من أبناء عبد الحق المريني ...، وتنسب عائلة أولاد القاضي الموجودة بإقليم تينجورارين إلى بني وطاس سواء من طرفهم أو من طرف غيرهم كالفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي السجلماسي مثلاً ، واعتمدت بعض التقاييد المحلية بالإقليم أن هذه النسبة تعود إلى المصاهرة بين أولا القاضي ، وبني وطاس ؛ حيث يعدُّ الوطاسيين أخوالاً لأولاد القاضي.

[3] يرجعه "عبدالرحمن الجوزي" نسبة إلى القاضي الشيخ محمد المسعود بن ابراهيم بن محمد بن يدار ، المتوفى بعد عام (799هـ-1396م) ، المقبور بتزدايت على الأرجح ، وأثناء وجودها بتزدايت بلاد القاضي تعرف باسم قبيلة أولاد المسعود...

مولـــده : وُلِد عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري بقصور أولاد القاضي وما يعرف سابقاً بـ آت سعيد، وحالياً أولاد سعيد التي تقع في الجهة الشمالية الغربية من تيميمون ، وتبعد عنها بحوالي 31كلم [2]، إذ لم تذكر الروايات عن تاريـخ مولده ترعرع ونشأ في أحضان أبيه القاضي أبي المكارم عبدالكريم بن أحمد بن محمد المسعود المتوفى (941هـ-1534م) ، تعلم وحفظ على يده مختصر خليل[3].

تلامذتـه :من أبرز تلامذته نجد في مقدمتهم عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي البكري[4] ولد رحمة الله عليه عام أربعة وتسعين وتسعمائة (994هـ-1042هـ) بتمنطيط التي بها نشأ وتعلم[5]، فتلقى تعليمه الأول على يد والده أبي عبد الله محمد (ت1008هـ) مستشهداً عن هذا في كتابه "الرحلة في طلب العلم" بأن« أول فائدة استفدتها منه سمعته يقول لم حرف جزم فحفظتها ولم أفهم

---

(1) وهذا نسبة إلى الإقليم الجوراري (قورارة) ، الذي هو تعريب تيقورارين المسمى بتيميمون على اسم قاعدته بالصحراء الجزائرية ناحية بلاد توات أدرار .ينظر:السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه ، الإمام أحمد بن أبي محلي مهدي واد الساورة (967هـ-1560م-1021هـ-1612م)،عبدالله حمادي الإدريسي، ط01، (1434هـ-2013م)،ج01،ص 523.سلسة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية رقم 04 ، ج01 ، ص523 .

(2) التاريخ الثقافي لإقليم توات ، من القرن 11هـ إلى 14هـ (17م/20م)، الصديق حاج أحمد ، مديرية الثقافة لولاية أدرار ،الطبعة الأولى،2003 ، ص61.

(3) ينظر :ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي (799هـ/1396م-1400هـ/1979م) ، عبدالرحمن بن عبدالحي الجوزي،(مخطوط تحت الطبع) .

(4) ينظر : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، محمد بن عبدالكريم بن عبد الحق التمنطيطي ، بخط الشيخ بكراوي محمد بن سالم "المعلم"، الخزانة الأثرية بزاوية سيد البكري تيمي أدرار. ينظر:موسوعة تراجم علماء الجزائر" علماء تلمسان وتوات عبدالحق حميش- محفوظ بوكراع بن ساعد،دار زمورة للنشر والتوزيع تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية2011 ،الجزائر ص302 .

(5) ينظر : تاريخ أنساب البكريين ، مجموعة تقاييد من خزانة كوسام .

معناها»[1]، وقرأ عليه كذلك القرآن، وأخذ عنه قواعد اللغة كل هذا وهو لم يكد يبلغ السادسة عشر من عمره.

* **محمد الجوزي (الجد) ، المعروف بخزينة العلم الشريف** : ولد محمد بن أبي عبدالله أمحمد عبدالله بن عبدالكريم بن أحمد الجوزي (الجد) بقصور القاضي غرب أولاد سعيد ، حفظ القرآن الكريم ومبادئه على يد والده ، ثم التحق بزاوية عمِّه عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ، الذي درس على يده ، وأخذ منه مختلف العلوم الفقهية ، اللغوية العلمية فقد انتهج طريق أسلافه في توجهه العلمي وهو القضاء الشرعي ، فحرص على حضور مجالس والده القضائية ، واطلع على مختلف المراسلات الفقهية في هذا الاختصاص لأعلام منطقة تينجورارين[2]، توفي بتاريخ 25ذي الحجة عام1035هـ/17سبتمبر 1626م بأولاد سعيد ، ودُفن بها[3].

***عبد الصمد بن عبدالرحيم المسعودي** :هو أبو محمد عبد الصمد بن عبدالرحيم بن أحمد بن محمد بن ميمون ، أحد أبرز علماء تينجورارين درس رفقة ابن عمه أبي محمد عبدالحكم بن عبدالكريم ، وأخوه أمحمد عبدالله بن عبدالكريم وغيرهما من الأعلام المسعوديين بتلمسان وغيرها[4]، تولى القضاء رفقة عبدالحكم أثناء استقالة القاضي أمحمد عبدالله بن عبدالكريم بن أحمد الجوراري عام (998هـ-1589م) ، وأشار إلى فضله وعلمه ابن محلي في كتابيه "المنجنيق والسيف البارق" وغيرهما .

---

[1] مخطوط الرحلة في طلب العلم ، ص02 .وينظر : مجموعة تقاييد من خزانة كوسام .

[2] ينظر : ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي .

[3] السلطان السلجماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد بن أبي محلي مهدي وادي الساورة (967هـ/156م/1021هـ/1612م)، عبدالله حمادي الإدريسي ، سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائريةرقم 04 ، ط01، (1434هـ-2013م)،ج01، ص546 .

[4] ينظر : ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي .

نجله : محمد عبدالرحمان بن عبد الحكم ، وشقيقه: محمد عبدالكريم بن عبد الحكم دفين فاس .

طلبه للعلم و شيوخه:

سبق وإن قلنا أثناء التعرض إلى ترجمة عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) أنه قد أخذ العلم عن والده عبدالكريم ، وحفظ عنه مختصر خليل، ولمدى حُبِّه للعلم وتطلعه الواسع، لم يقتصر طلبه للعلم على ما هو متواجد في محيطه الاجتماعي (بيئته المحلية) ، فذهب به طموحه إلى طلبه خارج الإقليم بدءاً بالأقاليم المجاورة بالوطن فكانت بداية الانطلاقة بحاضرة تلمسان آنذاك قاصداً الفقيه الشيخ سعيد المقري ، وقد أشار إلى هذا صاحب كتاب "دُرة الحجال في غرة أسماء الرجال" بقوله :« أخذ عن سعيد المغربي بتلمسان وعن غيره»[1] ، والمقصود بالمغربي هو المقري حين وقف "عبدالرحمن الجوزي" في شأن تصحيح هذا الخطأ ، إذ أرجع هذا الخطأ إلى خطأ مطبعي أو أثناء عملية النسخ للمخطوط (دُرة الحجال)[2].

كما نجد هذا في مورد آخر حين تطرق العباس بن ابراهيم السملالي في كتابه " الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام" بقوله :«عبد الحكم الجوراري أخذ عن سعيد المقري بتلمسان وعن غيره ، وهو قاضي تكورارين كورارة)...»[3].

وعلاوة على هذا أخذ كذلك عن شيخه عمر بن أمحمد صالح الأوقروتي ، كما ورد في كتاب "قطف الزهرات" «هو الفقيه الجليل الأمثل ، النبيل ، الشيخ

---

[1] درة الحجال في غرة أسماء الرجال ، أبي العباس أحمد بن القاضي المكناسي ت(1025هـ-1616م) ، تح : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ص364 .

[2] ينظر : ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، ص166.

[3] درة الحجال في غرة أسماء الرجال ، ص364 .

سيدي عمر بن محمد صالح مولده و منشأه ووفاته في بلد أوقروت ، تشبّث بطلب العلم فمنحه الله العلم والمال ، أخذ عن سيد محمد بن أبي بكر الودغاغي ، عن سيد موسى بن المسعودي عن سيد أحمد بن يوسف الملياني عن سيد عبدالله الخياط ...، هذا ما بلّغنا عن سلسلة أشياخه، له زاوية كبيرة مهيبة للضيوف والطلبة ، توفي رحمه الله عام 1008هـ»[1].

بالإضافة إلى هذا كانت له علاقات علمية بمشائخ آخرين نذكر منهم[2]:

أبو العباس أحمد بن أبي محلي السجلماسي (967هـ-1022هـ) ، و أحمد بابا التمبكتي (963هـ-1556م/1036هـ-1627م) صاحب كتاب "نيل الابتهاج وكفاية المحتاج" .

أخلاقه و مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه

يؤخذ عن عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) منذ طفولته المبكرة بظهور و وضوح ملامح ومؤهلات النبوغ العلمي من خلال اهتمامه الفائق بالمجال المعرفي وشدة ولَعَهِ بصناعة الشعر ومدى إتقانه وأخذه الأمور بمحمل الجد بالإضافة إلى فنون النثر ، يصفه لنا العلامة الحسن بن سعيد البكري بقوله« الشيخ الإمام الهمام مالك أَزِمَّة المنظوم والمنثور بالتمام »[3].

ومما يُؤخذ عنه تمتعه بذكاء حاد مكّنه من حفظ أمهات المتون حفظاً جيداً في مختلف المجالات الموجودة في عصره من علوم فقهية ولغوية ، علوم كونية ،

---

[1] قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، محمد عبدالعزيز سيدي عمر ، 2002م، ص 141 .

[2] ينظر:السلطان السلجماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد بن أبي محلي مهـدي وادي الساورة (967هـ/156م/1021هـ/1612م)، ص526.

[3] ينظر : ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، ص163 ، نقلاً عن جملة من تاريخ العائلة البكرية لحسن بن سعيد .

كما نجده كذلك خطَّى وتخصص في النسخ والتدوين[1].توافدت على عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) رسائل على شكل قضايا ومعضلات علمية من لدُن العلماء سواءً من علماء محليين، أو من أقطار المغرب والمشرق العربي قصد إيجاد حلولٍ لها[2]، وهذا دلالة على مكانته العلمية .

وفي تحلية كتبها عنه تلميذه "عالم توات" بقوله:« ومن المشاركين في الفنون والمدركين المقتبسين للعيون ، اللوذعيُّ الحافظ ، والبحر اللافظ ، لسان العصر ، ونخبة الدهر، أعجوبة الزمان ، ونادرة الأوان ، مالك ربقة المنظوم والمنثور المستخرج بنهيته ، وجودة قريحته لكل خفيّ مستور ، الوكيل المسرع ، والخطيب ، المصقع ، الروض النضير ، والماء العذّ النمير الفاضل الحجحاج الذي هو في قنّة الخار مصباح سيدي محمد عبد الحكم بن عبدالكريم ، الجوراري الدار، المريني ثم الوطاسي الخيم، جازاه الله بالنعيم المقيم »[3].

وعن تبحره في العلوم الفقهية فقد وُصف في ذلك بالحجة الدامغة فيها علمياً وعملياً ، فصوته في ترتيل القرآن ، وتجويده كان محل اهتمام الطلبة المريدين .واصفاً هذا تلميذه بقوله :« كان رحمه الله تعالى مليح القول ، خفيف الروح ، طويلَ النفس ، فصيح القلم واللسان ، طاهر الجنان والبنان ، إذا أخذ في تقرير شواهد الألفية وبيان معناها ، لا يترك على حرفٍ منها غبار ويقيِّد الشارد ، ويبيِّن الصعب ، ويوضح الخفيّ المتشابه للسُّهى حتى يتركه بالبيان المختار ،

---

(1) ينظر : المرجع نفسه ، ص164.

(2) ينظر:السلطان السلجماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد بن أبي محلي مهـدي وادي الساورة (967هـ/156م/1021هـ/1612م)، ص526-527-528 .

(3) ينظر : مخطوط الرحلة في طلب العلم ، ص11 .

وهو في صناعة النظم ومصاحبته آية واعتبار، وفي رخامة الصوت وملاحته معبد الألحان ، قبول النسيان للسامعين الحسان.»[1]

وفـاتـه : توفي رحمة الله عليه وقت صلاة المغرب من ليلة الإثنين 230شوال عام 1042هـ-1622م[2].

أعـمالـه : له منظومات شعرية مدونة في كتابي أبي العباس أحمد بن عبدالله ابن أبي محلي السجلماسي"منجنيق الصخور لهدّ بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة" .و كذلك مخطوط "القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم" .

مقطوعات ونُتُفات شعريـة ضمن موضوع تفريج الهم والكرب بالخزينة البكرية بتمنطيط ، وأخرى في خزانة الجوزيين بأولاد سعيد.أما فيما يخص الجانب النثري فنجده له إجابات لأسئلة مشائخ وتلاميذه ، وآراء لمسائل وقضايا علمية وفقهية.

المراسلات الشعرية عند سيدي عبد الحكم الجوراري ت(1021هـ-1612م)

المعنى اللغوي للترسل

ورد في لسان العرب لابن منظور « الاسترسال إلى الإنسان كالاستئناس والطمأنينة ، يقال : عَينُ المترسل إليك ربا، واسترسل إليه انبسط واستأنس وفي الحديث : أيّما مسلم استرسل إلى مسلم فَغَبنه فهو كذا الاسترسال : الاستئناس والطمأنينة إلى الإنسان والثقة به فيما يحدِّثه ، وأصله السكون والثبات . وقال التّرسل من التّرسل في الأمور والمنطق كالتمهّل و التوقر و التثبت، وجمع الرسالة

[1] المصدر نفسه ، ص16.

[2] ينظر : ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي.

الرسائل»[1]. من هذا التعريف نرى بأنه تدرّج بشكل كبير إلى أن وصل إلى الرسالة بالشكل الذي هو متعارف عليه حالياً ، وذلك بدءاً من الاستئناس والطمأنينة والثبات والتمهل والتوقر ، وإلى أن وقف في آخر الأمر عند الرسالة ،كما أخذ هذا التعريف بعداً نفسياً من خلال الأثر الذي يتركه المترسل من وراء رسالته.

اصطلاحاً :

يُورد "القلقشندي" عن مفهوم الكتابة التي هي أساس الرسائل وعُمدتها بأنها صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها ، إذ يفسر معنى الروحانية هي الألفاظ التي يتخيّلها الكاتب في أوهامه ويصور من ضمّ بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمةً في نفسه ، والجثمانية بالخط الذي يخُطُّه القلم وتفيد به تلك الصورة ، وتصير بعد أن كانت صورة معقولةً باطنة صورةً محسوسةً ظاهرةً ، ويفسر دلالة الآلة بالقلم[2]. ويعرفها في موضع آخر بأنها: «هي جمع رسالة المراد فيها أمور يرتبها الكاتب من حكاية حال من عدوٍ أو صيدٍ أو مدحٍ و تقريضٍ أو مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى ، وسميّت رسائل من حيث أن الأديب المنشأ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال مفتتحة بما تفتح به المكاتبات ثم توسع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها»[3].

باعتبار أن الرسالة لها أثر إيجابي في حياة الإنسان تعددت مواضيعها وتفنّن الكتّاب في أساليبها كل واحدة بحسب موضوع إنشائها من أفراح وأقراح ،

---

[1] لسان العرب ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط10 ، مج11 ، ص283 .

[2] صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي ، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه، يوسف علي طويـل، دار الكتب العلميـة بيروت –لبنان ، (د–ط) (د–ت)، ج1 ، ص82 .

[3] المصدر السابق ، ج14 ، ص138–139 .

فمن بين الرسائل التي أبدع فيها الكتّاب في إنشائها نجد الرسائل المدحية في هذا العصر قد اختصت بخصائص أبدى فيها أصحابها ما جال في مخيّلتهم من عواطف حب وتقدير لممدوحيهم بإظهار خصاله الكريمة وللإشادة بأفضاله من مثل ما كتب "القلقشندي ".

نموذج من رسائـــــل القلقشندي

كما عبّرت من خلال ما ورد بين طياتها عن العلاقات الأخوية بين الأصدقاء والأحباب و المشايخ تجلت فيها معالم التعبير عن معاني المحبة والمودة والإخاء و المودة .

أما عن رسائل الشكر فقد دُبجت بعبارات المدح و الثناء و الشكر بين الأصدقاء المتراسلين شكره فيها عن حسن الضيافة والاستقبال

وإذا نشطت الرسائل الديوانية نجد كذلك الإخوانية ازدادت نمواً و تنوّعت أغراضها كالشعر بعدما اقتصرت على النثر مصورة المظاهر الاجتماعية للأفراد من خلال عواطفهم و مشاعرهم في شكل قصائد مدحية هجائية اعتذارية تهانٍ ، رثاء ، تعزية ، مبدعين فيها بأحسن المعاني والمهارات الفنية .

الخصائص الشكلية لرسائل عبد الحكم بن عبدالكريم الجوراري

ت (1021هـ-1612م)

من خلال اطلاعنا على هذه الرسائل التي كان يتبادلها مع صديقه ابن أبي محلي نراها تحمل ملامح المساجلات الشعرية ، ومن الناحية الشكلية والفنية نجد غنائها واستيفاء الشروط اللازمة لبنائها من عناصر وضوابط فنية دأب عليها كتّاب الرسائل على مرّ العصور، فهي رسائل مستفتحة بنص نثري إلا أنها مضمنة قصائد شعرية . فمن أهم العناصر المتوفرة عليها نجد :

1- **البسملة** : إذ تعد أولى عناصر الرسالة وهي بمثابة مقدمة ، وجب تصدُّرها في بداية الكلام تبرُّكاً وتيّمناً بذكرها، وهو المنهج الذي سار عليه الشيوخ وغيرهم في البداية بأي عمل كان بذكر اسم المولى عز وجل ، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم« كل كلامٍ أو أمرٍ ذي بالٍ لا يفتح بذكر الله فهو أبتر وقال

:أقطَع»[1] ، نجد هذا العنصر مبثوت في رسائل عبدالحكم الجوراري ت(1021هـ-1612م) ، وإن لم تكن بأكملها ، من ذلك نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر رسالة بعثها لزميله أبوالعباس أحمد ابن أبي محلي عند نزوله ببيته ببني عباس نصها: بعد بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليماً:[2]

سلاماً سلامَ صَادقٍ في اشتياقِهِ إلى وعلى محبوبِهِ واعتناقِهِ

على الْحَبَإِ الْمُحبَى بكلِّ فضيلةٍ وذاك ابنُ عبْدِ الله خانُ رحَاقِهِ

أما عن الرسائل التي ترد فيها البسملة قد تكون في صدر مقدمتها ؛ أي بمعنى أنه يسجلها في بداية الورقة ثم يورد تقديماً عن موضوع الرسالة ليبدأ بعدها في التحية .

2- العنوان : وعن عنونة رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) لم يفرد لها بنداً عريضاً بحسب ما جرت عليه العادة أن يوضع العنوان في بداية الرسالة ، و لم تُشرْ إلى المرسل والمرسل إليه ، و التلميح في بعضٍ منها إلى ذكر المناسبة التي من أجلها نُشئت ، من هذه العبارات نذكر : « كتبتُ بها إليه أيّده الله يوم عيد الأضحى ، ونحن عنده إذ ذاك ببني عباس» ، «وكنت كتبت إليه أقام الله دعائم علائه كما سمك سماء مجده على عمد اجتنابه ، لمّا بلغني خَبَرُ مرضه وما قاساه من شدة بلائه» «ولما وفدتُ عليه أدام الله وجوده»، «وأقمنا عند أياماً وصلّينا معه عيد الفطر السبت ، وفيها قلت في حقه أيضاً أبياتاً» ، «كتبت له رسالة أُهنئه فيها بحجة وعُمرته».

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط01، (1417هـ-1997م)، ج14 ، ص339 .

[2] منجنيق الصخور لهد بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة ، مخطوط رقم 338ق، ضمن مجموع من ص127إلى ص357 ، المكتبة الوطنية ، الرباط ، المغرب، ص998.

3 – الحمدلة والتصلية (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم): بعد توفر عنصر البسملة لا بدَّ وأن يليه عنصر الحمدلة ، فيحمد الله ويبجّل من نعمِهِ الكثيرة على عباده،إذ لا نجد أي رسالة منعدمة من هذا الشرط ، يشير "القلقشندي" عن أهمية وفضل هذين العنصرين بقوله : « فإذا أتي بالحمد أول الكتاب ، ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله إتياناً بذكره بعد ذكر الله تعالى »[1]، سواءً عند كتّاب عصر عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) أو ممن سبقه .

4- التخلص : يعرفه "ابن رشيق" في عمدته بأنه « ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره ، ثم رجع إلى ما كان فيه»[2] باعتبار أن كتّاب هذا الفن يعمدون إلى استعمال عنصر التخلص الذي يدل على انتقال الكاتب من مقدمة الرسالة إلى الموضوع أو العرض المطلوب من هذه الرسالة باختلاف موضوعاتها ، فلا نعثر في رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) عن هذا العنصر "أما بعد" و"بعد" في غالبيتها إلا في رسالة التهنئة والتي تضمنها في الوقت نفسه سؤال بعد التهنئة استعمل التخلص "بعد" ليتطرق للموضوع الآخر .

5- الموضوع: بعد استيفاء رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) للعناصر السابقة يتطرق فيما بعد إلى الدخول في صلب الموضوع ، وهو الجزء الذي يقع بين مقدمة الرسالة وخاتمتها ، والذي يعتبر الأهم فيها على اختلاف أنواعها ، والسِّمة الموجودة عن هذا العنصر ، وما سار عليها معاصريه هو الوحدة الموضوعية لهذه الرسائل إلاَّ في واحدة منها في الرسالة

---

[1] صبح الأعشى ، القلقشندي ، ج06 ، ص218 .

[2] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ط05، (1401هـ-1981م) ج01،ص237.

بالحجة والعمرة ، عند توسطها أقحم نص السؤال بعبارة (فيما يخص) وهذا الأمر لا يعاب عليه .

6- الخاتمة: من البديهي تتنوع خواتيم الرسائل بحسب مواضيعها فمثلاً نجد في رسائل المدح تختم باعتذار عن التقصير والعجز عن البلوغ في إعطاء الممدوح ما يستحقه من الثناء والشكر وقد يتوقف الكاتب بعد الانتهاء من عرض موضوعه من دون خاتمة[1] .

ونظراً لكون رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) يغلب عليها المدح فإنها يختتمها بالتزكية والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، في مثل ما ورد في نص رسالته المدحية[2] :

وعهـدِي بجـودِكَ رحْب الفِنَـا فكيـف يَضيـقُ عن المُذنبيـــنْ.

وأزكـــى السَّـــلامِ وأطيبُـــهُ يوافي عَلاَءَكَ في كُـلِّ حيــنْ.

وفي أخرى[3] :

و هاهو ما بينَ الخيامِ أخاً جَوى فهلْ عندكم طِبٌ لسُقْمِ فُـــؤادِهِ.

عليــكَ مـن الحي الودودِ تحيـــــة تُحِـيِّ مُحيّـا حيَّ يَحْيى عمـــادِهِ.

---

(1) ينظر : فن الرسائل في العصر المملوكي ، رشا فخري النّحال، إشراف عبدالخالق محمد العق ، قدّم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستر في الأدب النقد ، قسم اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية ،(2013-2014) ، ص121.

(2) مخطوط منجنيق الصخور لهد بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة ، ص296.

(3) المصدر نفسه ، ص 299 .

كذلك وإن كان يحتوي هذا البيت على شيء من التضمين قول الصحابي"الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، يقول عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) في هذا [1]:

خُذنْ بيدي يا سيّدي تلك طلبتي وكن لي على الأعداء ردءَ رفاقِـــهِ.

فأنتَ عُذَيْقُها المرجَّبُ إنْ تشـــأ وإلاَّ أكنْ تيماً حليفَ خناقِـــهِ.

وفي مظهر آخر لخواتم رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) نجده يبيّن اختتامها ببيتين أخيرين، أحدهما مدحي والآخر كطلب للاقتداء بخصاله[2] :

فساعةٌ منكَ تعدلُ الدهورَ كما دهرٌ لديكَ كطيْفٍ عَنَّ في الْحُلُمِ.

كُونـــوُاْ لحبِّكمُ يـــداً مؤيِّـــدةً للجلْبِ والذّبِ بالحُسَامِ والقلَمِ.

وفي شكل آخر يختتم رسالة التهنئة بمناسبة الحجة والعمرة المتضمنة لنص السؤال يطلب في الآخر بالجواب الشافي لتساؤله في قوله[3] :

كـداحـمٍّ هـاءٌ قـافٌ جيـمٌ ونُونُهُـا وصـادٌ فأسْفِـرْ وجْـهَ ذلكَ سيِّـدِي.

وحِبِّكُـمُ المعْهُـودُ عبدُ الحَكَـمْ أتَـى بـذَا النظـمِ رَاغِـبَ الجَـوَابِ الْمُسَـدَّدِ.

---

[1] المصدر نفسه ، ص 998 .

[2] المصدر السابق ، ص 301 .

[3] المصدر نفسه ، ص 307 .

صفحة من مخطوط المنجنيق تظهر نوعية رسائل سيدي عبد الحكم بن عبدالكريم الجوراري.

السمات الأسلوبية لرسائل عبدالحكم بن عبدالكريم الجوراري ت (1021هـ-1612م)

لدراسة هذا الجانب يتطلب الوقوف على مدى براعة إبداع كاتب الرسالة ، والأخذ بمقياس تمكنه من توظيف أدوات الكتابة بعاملها الرئيسي الذي يتمثل في اللغة وحسن استخدامها من ذلك :

1. **الألفاظ الرقيقة:** وفي هذا العنصر يتوجب التمييز بين الألفاظ الجزلة والرقيقة ، باعتبار أن الكثير منا يذهب إلى فهم الألفاظ الجزلة بأنها يستصعب فهمها لكونها من الكلام الفصيح الذي يَعِزّ فهمه، ويبعدُ متناوله، فالفصاحة هي الظهور والبيان،لا الغموض والخفاء[1]. ومن المعلوم كذلك وبحسب ما ذهب إليه ابن الأثير أن الألفاظ في الاستعمال تقسم إلى قسمين جزلة ورقيقة ، فالجزلة منها تستعمل في وصف مواقف الحروب وقوارع التهديد والتخويف، وما إلى ذلك ، أما الرقيقة تستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد،وحتى في استجلاب المودّات وملاينات الاستعطاف...الخ[2].

إذ ما ميّز رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) تراوح ألفاظها ما بين السهولة والوضوح والدقة والغموض في بعض الألفاظ والمعاني ، وهذا يرجع إلى قاموسه اللغوي ، وبحسب موضوع الرسالة التي لم تقتصر في موضوعاتها على الجانب الاجتماعي والعلمي ، وإنما تحث في غالبيتها منحى المدح وهو ما يتطلب منه استخدام وتوظيف أحسن وأعمق الألفاظ الدالة على هذا المدح .

---

[1] ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البان الحلبي وأولاده بمصر (د-ط) ، (1358هـ-1939م) ، ج01، ص168 .

[2] ينظر : المصدر نفسه ، ج01 ،ص128.

من مثل ذلك في أبيات يقول فيها [1] :

أَ مُقْلَوْلِيـاً في المقـــامِ المكِيـــنْ ورُكــنَ الإلـــهِ القـــويِّ المتيـــنْ

ويا صاحبَ الوَقتِ والمَـدَدِ ويـا رحـمـــةَ اللهِ للعَـــالَمِيـــنْ

ويا جهبـــذَ الثقلَيْـــنِ لَـــهُ مـن الله نـورٌ وفتحٌ مُبيـــــنْ

و في أخرى قال[2] :

وتِرياقُهُ المُبْرِي لديكَ فَجُدْ به على ذِي عُضالٍ مسْتطيب ذواقِـــهِ

خُذنْ بيدي يا سيّدي تلك طلبتي وكن لي على الأعداء ردءَ رفاقِـــهِ.

قوله كذلك [3] :

بِطِلْعَتِـهِ قدْ أصْبَـحَ الْغَـرْبُ مَشْرِقـاً وللشـرْقِ من نِبْرَاسِهَـا صوبُ مُقْتَدِ

غَطمْطمـــهُ الفيـاضُ مـا أمَّ شبْـرَهُ أخُـو فاقــةٍ إلاَّ استقـرَّ بِأرْغَـدِ

02- الإيجاز والإطناب:

يتعلق هذا الأمر في الرسائل بطول حجمها وقصرها ، فرسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) تتراوح أبياتها ما بين 06أبيات إلى 31بيتاً ، وبدون تمهيد أو ختام مطول تبعاً لنوع الرسالة وموضوعها .

[1] مخطوط منجنيق الصخور لهد بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة ، ص 296.

[2] المصدر السابق، ص 298 .

[3] المصدر نفسه، ص 307.

فمن ناحية الإيجاز في المعاني نرى بأنها بلغت هذا الهدف ، وهذا ما يتطلبه عنصر أو مفهوم الإيجاز "وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح"[1] ، وبحسب ما ذهب إليه الرماني بأنه يقع على ضربين الأول : مطابق لفظه لمعناه ولا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، والثاني ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع[2] . إذ نجد أن عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) يسير على الضرب الأول .

أما عن الإطناب بمفهومه الذي يرى بأنه " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده" [3].

إذ وُسمت معظم موضوعات الرسائل في العصر المملوكي بسمة الإطناب التي فيها تظهر براعة كاتبها من مهارة فنية وثروته الفكرية والثقافية فيكثر من عرض موضوع الرسالة [4] .

ونظراً لغالبية موضوع رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) المدحية كَثُر فيها عنصر الإطناب في تدبيج بعض رسائل وصف خصال ممدوحه ، وهو ما نجده في تهنئته لصديقه بمناسبة حجه وعمرته ، بغرض إفهام المتلقي بما يقصده وهذا من ضمن أهداف الإطناب .

---

[1] جواهر البلاغة ،في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان (1428هـ-1429هـ/2008م) ، ص193.

[2] ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج01،ص250.

[3] جواهر البلاغة ، ص197 .

[4] فن الرسائل في العصر المملوكي ، ص139 .

03-**أسلوب الأمر**: يتعلق هذا الأسلوب في موضوع الرسائل لعدة أغراض بغرض الدعاء والتعجيز والتهديد والنصح بصيغ متنوعة بين فعل الأمر والمضارع المقرون بلام الأمر.

فما موسمٌ غيرما جمعا لدَيْهِ بِكُمْ مَلأ المُخبتينْ

فأغْضِ عن الزيفِ واصفحْ وجُدْ علينا بأنفسِ مُلكِ اليمينْ [1]

جاء هنا بغرض النصح والإرشاد ، وفي موضعيين آخريين بغرض الدعاء[2] :

خُذنْ بيدي يا سيّدي تلك طلبتي وكن لي على الأعداء ردءَ رفاقِهِ

فأنتَ عُذَيْقُها المرجَّبُ إنْ تشأ وإلاَّ أكنْ تيماً حليفَ خناقِهِ

وكذلك [3] :

تعطّفْ على التيمِ الكئيبِ بنفحةٍ مُهيِّئةٍ لهُ حصولَ مُرادِهِ

ودونكَهُ يا سيّدي واصلٌ بِهِ فها هو ذا ألقى لكم بقيادِهِ

أَفِدْهُ أفادكَ المفيدُ بفائدٍ يَفُودُ به على الوفودِ بِزَادِهِ

ما نلاحظه على رسائل عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) عدم استخدامه لعنصري التّناص والجمل الدعائية التي ظهرت في أغلب رسائل ذلك العصر بمختلف أنواعها ، وهذا لا يستثني أن نقول على الرغم من كثرة مدحه لصديقه ابن أبي محلي لم يستعمل العبارة المعبرة عن الغرض بل

(1) مخطوط منجنيق الصخور لهد بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة ، ص 296 .

(2) المصدر نفسه ، ص 298 .

(3) المصدر نفسه ، ص 299 .

العكس لم تكن بالصور المبالغ فيها مثل (أدام الله). إلا أنه يمكن أخذ هذا العنصر بما يقاربه وهو القاموس اللغوي عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) ، والتي يتبين أنه متأثر جداً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريف بحسب ما ورد في هذه القصائد.

الخاتمـــــة

كحوصلة لموضوع بحثنا هذا يمكننا أن نخرج بنقاط نلخصها كالتالي:

- تميز عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري ت(1021هـ-1612م) بخاصية تضمين قصائد شعرية داخل رسائله وغلبة هذا النمط عنده ، مما يظهر مقدرته على الإنشاء في مجالي الشعر والنثر.

- اعتماده على الشعر في تقوية المعاني ووقعها على السمع ، مما يدل على حداقته ودرايته بأسرار بلاغة الشعر.

- توفر الخصائص الشكلية التي تعتمد على بنية هذه الرسائل كالبسملة، الحمدلة ، العنوان التخلص ، الموضوع ، الخاتمة . والسمات الأسلوبية المتمثلة في (الألفاظ الرقيقة ، الإيجاز والإطناب ، أسلوب الأمر) ، ومظاهر البراعة البلاغية ، أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تحمل طابع المساجلات الشعرية مع زميله ابن أبي محلي ، تبارى فيه الشاعران في ميدانٍ فسيح مسَّ مجالات علمية عديدة أدبية ، فقهية ، فكرية ثقافية. قلما نجده هذه البراعة عند علماء عصره وفي هذا التخصص الأدبي إلا نادراً .

قائمة المصادر والمراجع :

المطبوعـة :

01-أدب الرسائل في المغرب العربي قبل القرنين السابع والثامن الهجريين ، الطاهر توات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط02 ،2010، ج02 .
02-أساس البلاغة الزمخشري ، محمد باسل ، عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (1419هـ-1998م) ،
03-جواهر البلاغة ،في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت -لبنان ،(1428هـ-1429هـ/2008م).
04-درة الحجال في غرة أسماء الرجال ، أبي العباس أحمد بن القاضي المكناسي ت(1025هـ-1616م) ، تح : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان .
05-لسان العرب ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط10 ، مج11 .
06-موسوعة تراجم علماء الجزائر " علماء تلمسان وتوات" ، عبدالحق حميش – محفوظ بوكراع بن ساعد ، دار زمورة للنشر والتوزيع ، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011 ،الجزائر .
07-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البان الحلبي وأولاده بمصر (د-ط) ، (1358هـ-1939م) ، ج01
08-السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه ، الإمام أحمد بن أبي محلي مهدي واد الساورة (967هـ-1560م-1021هـ-1612م) ، عبدالله حمادي الإدريسي، ط01، (1434هـ-2013م) سلسة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية رقم 04 ، ج01 .

09- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ط05، (1401هـ-1981م) ،ج01.

10-فن الرسائل في العصر المملوكي ،إعداد الطالب: رشا فخري النّحال، إشراف الأستاذ: عبدالخالق محمد العق ، قدّم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستر في الأدب النقد ، قسم اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية (2013-2014)،

11- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي ، شرحه وعلَّق عليه وقابل نصوصه ، يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ، (د-ط)،(د-ت).

12-قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، محمد عبدالعزيز سيدي عمر ، 2002م.

13-ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي (799هـ/1396م-1400هـ/1979م) ، عبدالرحمن بن عبدالحي الجوزي،(مخطوط تحت الطبع) .

14-الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، اعتنى بنشره ، محمد بن أبي شنب ، جول كربونال ساحة الدولة ، الجزائر (1339هـ-1960م) .

*** المخطوطـــــــات:**

01- درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، محمد بن عبدالكريم بن عبد الحق التمنطيطي ، بخط الشيخ بكراوي محمد بن سالم "المعلم". الخزانة الأثرية بزاوية سيدالبكري تيمي أدرار.

02-منجنيق الصخور لهد بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة ، مخطوط رقم 338ق، ضمن مجموع من ص127إلى ص357 ، المكتبة الوطنية ، الرباط ، المغرب .

03-مجموعة تقاييد من خزانة الجوزي أولاد سعيد.

04-مجموعة تقاييد من خزانة كوسام .

05رحلة الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي التواتي ت(1042هـ-1622م) .

06-تاريخ أنساب البكريين ، مجموعة تقاييد من خزانة كوسام .